

وإن قالوا عنك مستحيلاً إبراهيم يحيى أبوإيلي



يقول الله تعالى (الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ)

أخي المبارك إن جادت عليك الدنيا ومنحتك صديقاً وفيّاً مخلصاً يعينك بعد الله تعالى على نوائب الدهر فتمسك به أينما تمسك فإن الدنيا والأيام لا توجد دائماً بهكذا صديق وإياك ثم إياك أن تفرقكم التفاصيل الصغيرة أو حتى الكبيرة، فالصداقة شيء مقدس إن اكتملت أركانها وأكثر ما يؤثر في الصداقة الماديات والمصالح الآنية الوقتية، فكم من صديقٍ ظننته سنداً وعضداً قد غيرته المادة كما قال الشاعر الحكيم إيليا ابو ماضي :-

لما صديقي صار من أهل الغنى

أيقنت أنني قد أضعت صديقي!..

نعم فالمادة ستزول حتماً أما الصديق فباقي ما بقيت الصداقة الحقة الخالية من المنافع والفوائد والمصالح وكثير من الناس في زمننا المادي هذا يجهل كنه الصداقة الحقيقية لأن الإنسان تؤثر فيه تقلبات الأيام وشجونها وشؤونها، فمرة في فرح ومرة في ترح وأخري في سرور وبهجة وبسر حال ومرة العكس والصديق الوفي هو من يتقلب معك وفي كنفك مهما تقلبت بك الأيام هو ثابت كالجبال لا يتأثر ولا يتغير تراه معك أن انت اغتبتت ويظل معك ان افتقرت يربت على كتفك إن أصابتك ضراء وهم وإن تعثرت أقلقك وشد ساعده بساعدك وقال لك وهو هاشأ باشأ يعد إليك يده انهض عزيزي لم ترح وينفض عنك غبار السقوط ويحملك على عاتقه إن خانتك قدمك لا يبالي بتعبه الجسدي طالما أن نفسه الكبيرة في راحة وسكون لأنه قد أعان صديقه وقت شدته...

ما فائدة الصداقة والعلاقة إذا كان من تحسبه صديقاً قد تخلى عنك مع أول سقوط لك في حفرة الأيام أي صداقة هذه التي يبدو لها بريقاً كبريق الذهب الإبريز وضوء ساطع والايام مضاءة مقبلة عليك فإذا ما أظلمت عليك وأدبرت فقدت ذلك البريق وبقيت تتعثر في دياجير صداقة زائفة كالسراب الذي يظنه الظمان ماءً وإذا هو سراب لا يروي عطشاً وظل حائل لا يأوي متعباً انهكته شمس صحراء الايام بقسوتها...

والقول الأجل ما قاله الشاعر:

إِنَّ أَخَاكَ الْحَقِّ مَنْ كَانَ مَعَكَ

وَمَنْ يَخْرُ نَفْسُهُ لِيَنْفَعَكَ

وَمَنْ إِذَا رِيبَ الرِّمَانِ صَدَعَكَ

شَتَّتَ فِيكَ شَمْلَهُ لِيَجْعَلَكَ

فهل هناك صداقة مثل هذه في زمننا المادي هذا أم أنها (كالغول والعنقاء والخل الوفي) كناية عن المستحيلات أما أنا فلست ببيانس فقد منحتني الأقدار أصدقاء كالكواكب الدرية جمالاً وروعةً ووفاء ، نعم لدي أصدقاء والحمد لله يعينونني على تقلبات الايام ويمدون لي يد العون والمساندة وأنا في أحلك ظروف في يلتمسون لي العذر إن أخطأت ويقوموني إن حدثت عن الجادة...

يقال إن الصديق وقت الضيق نعم هذا صحيح بل هو في كل وقت فما التفت يميناً الا ووجدته يمسك ساعدي ويهزني بعنف جميل لأتنبه انه معي وفي أي جهة من الجهات أبحث عنه فإذا هو يسابرنني كالظل الذي لا يفارقني بل أكثر لصوقاً بي من الظل لأن الظل إن قُفِدَ النور تخلي عني أما هو فإن قُفِدَ النور يكون أشد التصاقاً بي كي لا أتعثر واسقط فأتألم ويتألم لألمي، إن بكيت من قسوة أيامي مسح أدمعي وإن أطلقت آهات الهم والحزن مسح على صدري ليخفف عني ما أعاني هذا هو الصديق ونختم بما قال الشافعي رحمه الله تعالى :-

سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا لَمْ يَكُنْ بِهَا صَدِيقٌ صَادِقٌ الوَعْدِ مُنِصِفاً

وأيضاً :-

وَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ امْرِئٍ مُتَلَوِّنٍ

إِذَا الرِّيحُ قَالَتْ قَالَ خَيْبٌ تَمِيلُ

وَمَا أَكْثَرَ الإِحْوَانَ جِئْنَ تَعْدُهُمْ

وَلَكِنَّهُمْ فِي النَّائِبَاتِ قَلِيلٌ

إبراهيم يحيى أبوإيلي